

رسائل ثقافية

لبنان : من زاهي رزق

وان كانت جوائز اصدقاء الكتاب هذه تلعب دوراً غير مباشر في توقيت النشر ، فانها ايضاً تلعب دوراً في تحديد نوع الكتب المؤلفة . فاذا ما اعلنت اللجنة انها ستكسر جائزة للقصة القصيرة مثلا هذا العام (كما حصل فعلا) تكاثر عدد الذين يعملون الآن على اعداد مجموعات من القصص القصيرة آملين ان يفرغوا من وضعها ومن نشرها قبل الموعد المحدد ؛ واذا ما اعلنت اللجنة انها ستكسر جائزة للرواية مثلا ، او للدراسة ، او لسواهما ، تكاثر عدد العاملين على الروايات او الدراسات او سواها ، وهكذا .

اما في الحقل الفني فقد تعددت المعارض في الاشهر الاخيرة ، وكان اكبرها معرض الربيع الذي تقيمه كل عام وزارة التربية والفنون الجميلة . وقد جرى هذه السنة في فندق الكارلتون ، وضم لوحات ورسوماً ومنحوتات لجميع فنانين لبنان تقريباً . لكن هذا لم يكن المعرض الذي من شأنه ان يعطي الصورة الافضل عن واقع الفن اللبناني في الوقت الحاضر . وقد لا يقع اللوم كله في ذلك على منظمي المعرض ومنتهقي محتوياته ، اذ يقع جزء منه ايضاً على الفنانين انفسهم ، الذين كانوا اتفقوا على الا يعرضوا من نتاجهم الا ما كان من الدرجة الثانية ، وحياتاً الثالثة ، وان يقولوا خير نتاجهم في ستوديوهاتهم او لمعارضهم الخاصة المستقلة . لكن المنظمين اخطأوا بدورهم في اختيار مكان مناسب للمعرض : فقاعات فندق هو من أبرز فنادق المدينة لم يكن بد من ان تشغل في الوقت ذاته

في الاوساط الثقافية في لبنان ، عندما يتحدثون عن « الموسم » فهم يقصدون الاشهر الثلاثة او الاربعة من كل عام ، التي تمتد من اواسط الشتاء حتى اواخر الربيع ، ويسارع فيها المؤلفون الى نشر مؤلفاتهم والفنانون الى عرض آثارهم ، قبل ان يجيء الصيف ، فتقفل معاهد التدريس ويتفرق الطلبة ربهرج الناس بعد انتهاء اعمالهم الى شاطئ البحر او الى مصايف الجبل ، مانحين انفسهم اجازة مطولة من النشاطات الثقافية الايجابية والسلبية معا . فمن منتصف حزيران (يونيو) الى منتصف تشرين الاول (اكتوبر) تقريباً يتردد الا اجراً الناشرين والمعارضين على النشر والعرض ، وينتظر الباقون عودة الطلبة واقفار الشاطئ والمصايف ، لتبدأ الحياة من جديد ، وتصل اوجها بعد اشهر ، في « الموسم » .

لكن ظاهرتين جديدتين ، بدأتا ، في السنوات الاخيرة ، تحفان من جذب اشهر الصيف : اولاهما مهرجان يعلبك ، غير ان اكثر نشاطات هذا المهرجان اجنبية مستوردة ولا علاقة لها بنتاج البلد ؛ والثانية جوائز اصدقاء الكتاب ، وهي جوائز سخية نسبياً قد تكون الوحيدة التي ينالها رجال الادب والفكر ، وتعطى مرة كل عام ، في اوائل الخريف ، ويشترط في الكتب المقدمة لها ان تكون قد نشرت فعلاً - لذا يسارع المتقدمون للجوائز الى نشر كتبهم في الفترة القصيرة السابقة للموعد ، اي خلال الصيف وفي اواخره .

التابعة من الجبل تارة ومن التزوير طورا ، التي ارتكبها معظم المؤرخين العالميين في تدوين تاريخ الحضارة . وقد وضع منشيء « المؤسسة » الاستاذ اميل خوري حرب كتابا بالافة الانكليزية اسماء « التراث اللبناني العظيم » هو (اذا صرفنا النظر عن الاجزاء السياحية والدليلية فيه) بمثابة انجيل هذه الحركة - التي ليست هي بالجديدة على لبنان ، الواعي ابداء لتراثه الحضاري ولرسلته التمدينية ، والذي ظهرت فيه قبيل الحرب الاخيرة حركة مماثلة في اوساط بعض الادباء والشعراء : فلا شك ان الاستاذ سعيد عقل هو الاب الروحي لهذه الحركة .

يعدد صاحب الكتاب ومنشيء « المؤسسة » مآثر الفينيقيين في حقول الحضارة ، ويعيد لهم تسميتهم بالجنس المقدس ، ويسمي مناوئهم القدامى بالبرابرة . ويذكر منجزاتهم في الرياضيات ، وفي الكتابة والحروف الهجائية ، وفي الدين ، وفي الشعر ، وفي الفلسفة ، وفي العلوم الذرية ، وفي التجارة والصناعة ، وفي الحرب والسلام ، وفي الشرائع . ويضم لابناء بلده طالس وفيثاغورس واقليد وبندار وزيون - وهوميروس ذاته ، الذي كانت قد اختلفت على اصله سبع مدن فاضاف الآن اليها المؤلف مدينة ثامنة . كما يتحدث الكتاب عن مآثر اللبنانيين القدماء خارج بلادهم ، ويتعرض لرحلات البحارة الى امريكا ولائار تركها هؤلاء البحارة في الولايات المتحدة وفي كوبا وسواها . ويصدر هذا الفصل ، الذي عنوانه « الفاسنة قبل كولومبس » ، باقتباس من الاستاذ سعيد عقل .

لكن الكلمة الاخيرة تظل ، كالعادة ، للاستاذ سعيد عقل نفسه . فقد اعلن مؤخرا عن حقل جديد لم يتعرض له المؤلف وكان اللبنانيين القدماء قصب السبق فيه - هو الانتحار حرقا . قال : « ان هذا النوع من الانتحار - وقد عرف بالانتحار حرقا - هو من مبتكراتنا في التاريخ . بامرأة احرقت نفسها بداءة قرطاجة ، وبامرأة احرقت نفسها انتهت . وما قيل انه قد قام في

بنشاطات اخرى لها في عرف الفندق اهمية اكثر مما للصور : فكان يتوجب على المتفرجين ان يختاروا وقتا ليست تقام فيه حفلات في القاعات حيث الصور ، وكان عليهم (ان نجحوا في ذلك) ان يعرفوا كيف يمشون على الصور ذاتها ، الخبا بمضها وراء عواميد والتي تحجب بعضها الانيسة والاطباق المعدة لحفلة لاحقة . واذا ما نجحوا في ذلك ايضا وعثروا على موضع الصور ، كان عليهم ان يقوموا بتفتيش جديد ، خلاصته : بمن من الفنانين الغربيين يذكرنا فناننا هذه ، وباية صورة اجنبية تذكرنا هذه الصورة ؟ وقد اغى مدير قسم الفنون الجميلة في وزارة التربية والمسؤول المباشر عن معارضها باللوم في هذا التأثير المبالغ فيه بالفنانين الاجانب على الجمهور اللبناني لانه « جمهور متأثر بالانجاءات الفنية الغربية ، وهو بفعل هذا التأثير يفرض عفوا على الفنان اللبناني ان يكون مقلدا والا حرمه الليرات التي يشتري بها لوحته » .

على ان لدى وزارة التربية في الوقت الحاضر عددا من المشاريع التي سيجتني منها الفنانون فوائد جمة : كمشروع انشاء بيت للفنان اللبناني ، ومشروع اصدار منشورات دورية عن الحركة الفنية ، ومشروع ادخال لبنان في المعارض الدولية ، ومشروع زيادة الاعتمادات المخصصة لشراء اللوحات وللمساعدات الفنية . عدا هذا ، فقد طلبت رئاسة الوزراء الى جميع وزارات الدولة ان تسهم في شراء اللوحات والمنحوتات لمكاتبها ولسفاراتها وسواها . واقامت بلدية زحلة مباراة بين الفنانين لصنع واقامة تماثيل في المدينة يحسد واقمها وتاريخها ويرمز الى بطولاتها ، ونهبت الفنانين الى انه « يرجى ان يحمي التصميم وبالتالي التمثال متوافقين مع العقيدة اللبنانية المريقة التي تستحسن الاجسام المستورة بالثياب او بسواها » .

وانشئت في بيروت « مؤسسة التراث اللبناني » ، هدفها كما تقول ان تبين حقيقة دور اللبنانيين في نشوء المدينة وتطورها ، وان تصحح الاخطاء

رسائل ثقافية ١٠٣

العامة وقضت على هوائها ؛ ولما تبين ان امرأة اخرى تزوجت ستة ازواج في خلال سنة وكانت تقسم في عصمة كل منهم مدة شهرين ثم تهرب دون ان يتم بينهما طلاق ، وانها على وشك الزواج مرة سابعة ، اودعت السجن .

وتابعت حلقة المسرح اللبناني نشاطها ، وهي تعززم اخراج مسرحية « الذباب » لسارتر بالعربية ، وكانت قد قدمت « ماكبت » في العام الفائت ؛ واعلنت عن تخصيص جائزة سنوية لافضل مسرحية . وظهر فيلم « شوشو والمليون » ، احد الافلام اللبنانية القليلة جداً . وما زال النقد الفني ، خاصة نقد المسرح والسينما ، بحكم المردم رغم اهميته - ولعل النقاد لم يتشجعوا عندما قرأوا عن حادث جرى في العاصمة : اذ حضر صديقان فيلماً وأخذاً يتبادلان الرأي فيه بعد انتهائه ، ولما لم تتفق آراؤهما حوله اطلق احدهما الرصاص على رفيقه فارداه قتيلاً .

وعقدت في بيروت عدة مؤتمرات وحلقات دراسية ، من أبرزها حلقة الدراسات العربية في الجامعة الامريكية ، ومؤتمر الترجمة التابع لليونسكو ، ومؤتمر العلاقات الثقافية بين لبنان وايطاليا ، وحلقة العلوم السياسية ، ومؤتمر البحوث العلمية والتقنية ، ومؤتمر حقوق الطفل ، وسواها . وأقيمت في ميدان سباق الخيل ببيروت حفلة فريدة اطلق على جائزة الشوط الثالث فيها اسم جائزة الروائيين ، وعلى جائزة الشوط الرابع اسم جائزة الشعراء ، وعلى جائزة الشوط الخامس اسم جائزة المفكرين .

واخيراً - من دلائل الازمنة : بعض النقاد يرون ان اكاثر كاتب ما من استعمال لفظة معينة او صورة معينة في كتاباته ، له مفزاه ومدلولاته ويلقي ضوءاً على ادبه . وقد لاحظ المراقبون ان الكلمة التي شاع استعمالها في المجلات والصحف اكثر من اي سواها وفي سياقات متعددة في الاشهر الاخيرة ، وكانت قلما ترد فيها قبل اشهر ، هي كلمة « حوار » .

التاريخ اعظم من هذا البدء ولا اروع من هذه النهاية . وقالت الاحصاءات الرسمية الاخيرة ان حوادث الاتحار في لبنان ، سواء اكانت كهذه حرقة ، ام غرقاً (عند بقعة من اجل بروت) ، او عن طريق السم او غيره ، قد ازدادت بنسبة كبيرة . لكن الاتحارات الكثيرة هذه ، وحوادث القتل التي تذكرها الصحف كل يوم ، خاصة لاسباب تتعلق بالشرف وغسل العار ، لم تخل دون ازدياد عدد السكان في البلاد ازدياداً خارقاً . فقد ورد في جداول مديرية الاحوال الشخصية ان عدد سكان لبنان ، الذي كان قبل عشر سنوات يقل عن المليون ونصف ، اصبح في ١٩٦١ مليونين ومائة وخمسين الفا . وقد علق المحرر الاقتصادي لجريدة « النهار » على ذلك بقوله ان معنى هذا ان عدد سكان لبنان في العام الحالي مليونان و ٣٠٠ الفاً ، اي ان الزيادة الحاصلة في العشر سنوات الاخيرة تبلغ زهاء ٧٢ في المائة .

وقد كسبت المرأة اللبنانية في الاشهر الاخيرة الماضية ظفراً كبيراً ، اذ فازت امرأة ، بالتركية ، بمقعد في مجلس النواب ، لأول مرة في تاريخ البلاد . وتكهن بعض الاوساط بان هذا الفوز سيفتح الباب امام المرأة اللبنانية في الحقوق العامة والوزارية والقضائية . وظهرت في بيروت مجلة اسبوعية جديدة مكرسة لشؤون المرأة ، كما افتتح فيها ناد للجودو باسم « النادي النسائي للمصارعة اليابانية » ، صرحت احدى المنتميات اليه بان « المصارعة اليابانية يجب ان تكون اساس كل حركة عند المرأة ، لانها الوسيلة الفعالة للتحرر من كل سيطرة غير عادلة » . وقد تجلت هذه « السيطرة غير العادلة » في اكثر من حادث مؤخر ، مما يبرهن انه ما زال امام المرأة صراع طويل قبل ان تكسب جميع حقوقها : فلما اقدمت امرأة متزوجة على خطف عشيقها وراحت تتفق عليه سخاء وتشترى له افخر الملابس ، تدخلت النيابة